قالت العرب

المشهد

العدد 347 - السنة الرابعة عشرة - الأحد 1 مارس 2026 م - 12 رمضان 1447 هـ

لقد هَتَفْتُ في جُنْحِ لَيْلٍ حَمَامَة / على فنَنٍ وهناً وإني لنائم / فقلت اعتذاراً عند ذاك
وإنني/ لنفسي فيما قد أتيت للائم / أأزعم أني عاشق ذو صبابة/ بليلى ولا أبكي
وتبكي البهائم / كذَبْتُ وبَيْتِ اللهِ لو كُنْتُ عَاشقاً / لَمَا سَبَقَتْنِي بالْبُكَاءِ الْحَمَائِمُ

قيس بن الملوح

وفاة خامنئى تضع إيران عند مفترق طرق تاريخى

يُشكّل رحيل المرشد الأعلى آية الله على خامنئى نقطة تحوّل تاريخية فى إيران، إذ يُجبرها على خوض مرحلة انتقالية صعبة فى ظل حملة عسكرية أمريكية إسرائيلية واسعة النطاق، واضطرابات متصاعدة فى الشوارع.

وكان لخامنئي، أكثر من أى شخص آخر، دورٌ محورى فى رسم ملامح الشرق الأوسط الحديث على مدار ٣٧ عامًا من الحكم، وبصفته الزعيم الروحى والسياسى لثانى أكبر دولة فى الشرق الأوسط، بسط نفوذه عبر الميليشيات الشيعية فى أنحاء المنطقة، ونجا من موجات الاضطرابات التى أطاحت بالحكام المستبدين من حوله.

ويترك خامنئى وراءه نظامًا بلا خليفة واضح، وهو أمرٌ مقصود إلى حد كبير، وجمهورية إسلامية تُكافح من أجل البقاء. ومن المرجّح أن يتمتع أى خليفة بسلطة شخصية أقل من خامنئي، وأن يقتصر دوره على الجانب الرمزي.

ويقول مهدى خلجي، مؤلف سيرة خامنئى الصادرة عام ٢٠٢٣، والذى درس لمدة ١٤ عامًا فى الحوزات الدينية بمدينة قم الإيرانية المقدسة: "يمكننا القول بكل تأكيد تقريبًا إن القيادة لن تتركز فى يد شخص واحد". وسيكون دور المرشد الأعلى القادم شرفيًا فى الغالب، ولكن الجمهورية الإسلامية تمنح المرشد الأعلى صلاحيات واسعة. فالمرشد الأعلى فى إيران هو القائد الأعلى للقوات المسلحة، ورئيس السلطة القضائية والتشريعية والتنفيذية. كما يُعتبر كبير حماة المذهب الشيعي.

بعد وفاة خامنئي، ستُناط مهام المرشد الأعلى مؤقتًا بمجلس ثلاثى يتألف من الرئيس، ورئيس السلطة القضائية، وعضو من مجلس صيانة الدستور، وفقًا لما ينص عليه دستور البلاد. ثم يقوم مجلس الخبراء، وهو هيئة دينية تضم ٨٨ عضوًا، باختيار المرشد الأعلى القادم. وستكون هذه العملية شكلية إلى حد كبير، لأن القرار الفعلى بشأن الخليفة سيُتخذ على الأرجح خارج المجلس، ريثما يتبلور توافق فى الآراء حول قائد جديد.

وقد ترددت شائعات حول اثنين من أعضاء المجلس المؤقت كمرشحين محتملين لخلافة المرشد الأعلى. على رضا عرفي، رجل دين فى أواخر الستينيات من عمره يرأس الحوزات الدينية فى إيران، نأى بنفسه عن السياسة، ما يجعله مرشحًا قويًا لكسب تأييد المتشددين والقوى المعتدلة على حد سواء. أما غلام حسين محسنى إجائي، رجل دين متوسط الرتبة يرأس السلطة القضائية، فيُعرف بين معارضى النظام بدعوته إلى عقوبة الإعدام للمتظاهرين، فضلًا عن منصبه السابق كوزير للاستخبارات.

وبينما تستقر القيادة الإيرانية على زعيم جديد، تبرز شخصيات أخرى قادرة على ممارسة النفوذ. فقد برز على لاريجاني، أحد أبرز الشخصيات فى النظام منذ زمن طويل، والذى يرأس المجلس الأعلى للأمن القومى الإيراني، كصانع قرار مؤثر. ولاريجاني، رجل براغماتى وسياسى مخضرم، مفاوض نووى سابق، وابنته درست فى الولايات المتحدة. أما الرئيس السابق حسن روحاني، فرغم كراهية بعض رجال الدين له، فقد عاد إلى الواجهة فى الأشهر الأخيرة، ولديه خبرة فى التعامل مع الغرب.

لم تشهد إيران عملية اختيار مرشد أعلى جديد إلا مرة واحدة، عندما خلف خامنئى مؤسس الجمهورية الإسلامية، آية الله روح الله الخميني، عام ١٩٨٩. وستكون عملية الخلافة اليوم مختلفة تمامًا. فبينما يُشترط أن يكون المرشد الأعلى الإيرانى عالمًا دينيًا بارزًا، تتمتع فصائل خارج دائرة رجال الدين بنفوذ كبير، لا سيما الحرس الثورى الإسلامي، الوحدة العسكرية النخبوية التى تحولت إلى قوة اقتصادية وسياسية هائلة. كما بنى خامنئى جهازًا بيروقراطيًا قويًا حول مكتبه، يضم مساعدين عسكريين وفكريين، ومؤسسات اقتصادية متينة. وتسيطر الأوقاف الدينية، المعروفة باسم "البونياد"، على مليارات الدولارات من الأصول التى تمول الخدمات الاجتماعية للفقراء، ورواتب رجال الدين، والصناعات التحويلية.

ويرجح الخبراء أن يكون المرشد الأعلى القادم، المكلف بالإشراف على هذا النظام، شخصية متدينة، مقبولة لدى رجال الدين، وقابلة للتأثير من قبل الأوليغارشية والقادة العسكريين النافذين الذين يديرون شؤون البلاد اليومية.

يُثير اثنان من أبرز المرشحين لخلافة خامنئى جدلاً واسعاً. فمجتبى خامنئي، أحد أبناء خامنئي، يتمتع بنفوذ كبير فى مكتب المرشد الأعلى وجهاز المخابرات، إلا أن مؤهلاته الدينية محدودة، وقد يُعانى من تبعات ارتباطه بحكم والده. أما حسن الخميني، حفيد مؤسس الجمهورية الإسلامية، فقد برز دوره فى الحياة العامة خلال الأشهر الأخيرة، حتى أنه ظهر نيابةً عن خامنئى فى احتفال سنوى للقوات الجوية. إلا أنه مُنع عام ٢٠١٦ من دخول مجلس الخبراء ذى النفوذ الواسع لافتقاره إلى المعرفة الدينية.

وتُعارض الجمهورية الإسلامية الحكم الوراثي، مما يجعل اختيار مرشح من أيّ من العائلتين خياراً مثيراً للجدل. سيحتاج المرشد الأعلى القادم أيضًا إلى إقامة علاقات جيدة مع آية الله على السيستاني، رجل الدين البارز فى العراق، والذى يُعدّ بعد وفاة خامنئى الزعيم الروحى الأبرز بلا منازع للشيعة فى جميع أنحاء الشرق الأوسط، بما فى ذلك العراق والبحرين، والكويت، وأفغانستان، ولبنان.

يقول الخلجي، مؤلف الكتاب: "إذا فُقدت هذه العلاقة، فستصبح العلاقة مع المجتمع الشيعى برمتها مشكلة". إن غياب خليفة واضح ليس بالأمر الهين، فقد استبعد آية الله الراحل، على مر السنين، منافسيه المحتملين من رجال الدين، بمن فيهم الرئيس السابق أكبر هاشمى رفسنجاني، الذى لعب دورًا حاسمًا فى اختيار خامنئى مرشدًا أعلى عام ١٩٨٩. واقترح رفسنجانى عام ٢٠١٥ فكرة إنشاء مجلس دينى لخلافة خامنئى بدلًا من مرشد أعلى واحد، بهدف نقل إيران إلى شكل أكثر اعتدالًا وجماعية فى الحكم، وتوفى رفسنجانى عام ٢٠١٧ إثر نوبة قلبية فى حوض سباحة، وزعمت إحدى بناته أنه اغتيل على يد عناصر من داخل النظام.

وإذا كان الهدف من اختيار الزعيم القادم هو ضمان استقرار النظام على المدى البعيد، فإن الصراع المباشر من أجل البقاء يدور الآن، وقد أشارت الولايات المتحدة وإسرائيل إلى أن غاراتهما الجوية ستستمر لأيام.

وقال ولى نصر، المسؤول الأمريكى السابق والخبير فى الشؤون الإيرانية بجامعة جونز هوبكنز، إن قادة إيران سيسعون إلى انتزاع أكبر قدر ممكن من الثمن من الولايات المتحدة وإسرائيل، بالإضافة إلى دول المنطقة التى قد تفكر فى الانضمام إلى الحرب.

وقد ردت إيران بالفعل على الهجوم بإطلاق صواريخ على جميع دول الخليج تقريبًا، وأمرت السفن بتجنب مضيق هرمز، وهو ممر ملاحى ضيق حيوى لأسواق الطاقة ويربطها بالخليج العربي.

وأعلنت القيادة المركزية الأمريكية، يوم الأحد، مقتل ثلاثة أمريكيين خلال العملية المشتركة الإسرائيلية الأمريكية. وقد أثبتت القيادة العسكرية الإيرانية مرونتها، حيث قُتل نحو ٣٠ من كبار القادة الإيرانيين فى حرب الأيام الاثنى عشر مع إسرائيل الصيف الماضي، دون أن يؤثر ذلك على الهجمات الإيرانية الانتقامية.

وقال نصر: "معظم دول العالم، إذا قُتل ٣٠ من كبار قادتها، فلن تستطيع شنّ حرب، ولا أريد أن أقول إن هذا النظام سيستمر إلى الأبد، لكن لديه عتبة بقاء مختلفة عن، العديد من الدول العربية فى المنطقة".

وقد واجهت السلطات الإيرانية احتجاجات واسعة النطاق فى السنوات الأخيرة، كان آخرها فى يناير عندما ردّت قوات الأمن بعنف غير مسبوق، ما أسفر عن مقتل الآلاف، وقد شجع الرئيس ترامب الإيرانيين على تولى زمام الحكم بمجرد توقف القصف، قائلًا إن أمامهم فرصة لا تتكرر إلا مرة واحدة فى الجيل للقيام بذلك، الا ان مقتل خامنئى لا يغير حقيقة أن المعارضة الإيرانية تفتقر إلى التماسك والقيادة اللازمين لإسقاط حكم استبدادي، بحسب الخبراء.

وفشلت الولايات المتحدة فى أعقاب الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩، فى توقع الاضطرابات السياسية التى تلتها، من تمردات فى أنحاء إيران، وحرب مدمرة مع العراق، وعدم استقرار فى الشرق الأوسط، وتهديدات للأمن القومى الأمريكي، وتبدو إدارة ترامب اليوم أقل استعدادًا، بحسب سوزان مالوني، نائبة الرئيس والخبيرة فى الشؤون الإيرانية فى معهد بروكينغز للأبحاث. وقالت مالوني: "لقد تسببنا فى هذه الأحداث، ويبدو أنه لم يكن هناك أى تخطيط جاد لما سيحدث لاحقًا، بأى شكل من الأشكال، ويبدو ترامب غير مبال تقريبًا بهذا الأمر. إنه يشجع الإيرانيين على أخذ زمام مستقبلهم بأيديهم، لكنهم ليسوا فى وضع يسمح لهم بذلك".

وول ستريت جورنال

هل يتحقق الهدف المزدوج للحرب على طهران؟ أم يتغير مسار التاريخ؟

ليس لدى الإيرانيين ما يخسرونه.. إما النصر أو الضياع الكامل لوطنهم

كنت قد قلت فى تعليق لى على موقع فيس بوك أن ايران لن تهزم وسيؤدى ذلك الى نهاية مستقبل ترامب ونتنياهو السياسي، وسيتراجع دور أمريكا فى العالم الى مستوى دولة من الدرجة الثانية. مثلها مثل بريطانيا أو فرنسا أو ألمانيا. وكتب لى أحدهم يسألنى عن مسوغات هذه المزاعم. فكتبت هذا المقال لتقديم الإجابة على هذا السؤال.

ولكن قبل الدخول فى الإجابة لا بد من معرفة الأسباب التى قامت من أجلها الحرب، ومن ثم معرفة الأهداف المتوخاة منها، حتى يتسنى لنا توفر معيار لمفهومى المكسب والخسارة بحسب تحقق هذه الأهداف من عدمه.

لقد قامت الولايات المتحدة وإسرائيل بشن تلك الحرب الثانية على ايران لأسباب بعضها يخص كلا منهما على حدة وبعضها الآخر يخصهما معا، بحكم شراكتهما التاريخية وعلاقتهما العضوية المعروفة.

أما الذى يخص الولايات المتحدة، فيندرج ضمن خطواتها الهادفة إلى إحكام الحصار حول عدوها الرئيسى إيران والحد من إمكانيات تطوره المتصاعد على حساب مكانتها الدولية. وتتعدد أشكال هذا الحصار، تبعا لفهمها لكل ما يمثل عنصر قوة لإيران. بدءا من فرض قيود على حلفائها أو من يقعون فى دائرة تأثيرها فى استيراد السلاح الصينى والتعامل التجارى والصناعي، وانتهاء بالتحكم فى التطور الصناعى والاقتصادى الصينى عن طريق التحكم فى العنصرين الضروريين لهذا التطور، ألا وهما مصادر الطاقة وطرق التجارة والملاحة البحرية.

ولذلك قامت الولايات المتحدة بالسيطرة على بترول أذربيجان بالتوافق وعلى بترول فنزويلا بالغزو المباشر، إلى جانب هيمنتها على دول الخليج ومعدلات إنتاجهم وتسعيرهم للبترول وتقييمه بعملة الدولار. وهو ما يعنى أن أمريكا هى المهيمنة على سوق الطاقة فى العالم. ولم يبق متحررا من هذه الهيمنة سوى ايران، التى تجاهر بالعداء للولايات المتحدة وتقيم أوثق علاقات الشراكة والتعاون مع كل من الصين وروسيا. وهو ما يجعل منها خصما مباشرا للولايات المتحدة. فضلا عن عداء إيران المتأصل لدولة الكيان الصهيونى ودعم معظم حركات المقاومة التى تواجهه. لذلك كان هدف الاجهاز على النظام الإيرانى ماثلا فى الذهن الاستراتيجى الأمريكى منذ زمن الرئيس جيمى كارتر ومحاولته غزو ايران لتحرير رهائن السفارة الأمريكية بعد انتصار الثورة الإسلامية مباشرة عام ١٩٧٩.

وأما وقد تم التمكن من فنزويلا، فقد آن الشروع فى عملية تدمير ايران، ان لم يتم تطويعها. خاصة أن ايران أضحت على مشارف الوصول الى مستوى من تخصيب اليورانيوم يسمح لها بإمكانية انتاج قنبلة نووية. وهو ما يشكل كابوسا ثقيلا بالنسبة لكل من أمريكا وإسرائيل، منفردين ومجتمعين، معا. لأن عملية تطويع ايران باعتباره هدفا أمريكيا ستكون غير ممكنة، وبالتالى ستضيع فرصة احكام السيطرة على سوق النفط ومضيق هرمز، والنفوذ الجيوبوليتيكى فى الشرق الأوسط ووسط آسيا. وبالنسبة لإسرائيل سيكون حصول ايران على القنبلة النووية بمثابة تهديد وجودى بكل ما تعنيه الكلمة، حيث ستطلق يد حلفاء ايران فى العمل بحرية، وسيتم القضاء على كل طموحات دولة الكيان فى الهيمنة على المنطقة، ومن ثم سيتم القضاء صميميا على حلم إقامة إسرائيل الكبرى، ذلك الحلم الذى أخذ فى الظهور خلال الأعوام القليلة الماضية الى أن أصبح يتردد على ألسنة مسؤولين رسميين فى دولة الكيان. خاصة، بعد انهيار نظام الحكم البعثى فى سوريا.

سباق مع الزمن

من هنا نفهم كيف كان الأمريكان والاسرئيليون فى سباق مع الزمن لمهاجمة ايران. خاصة أن الضربة السابقة لم تسفر عن النتائج المرجوة، كما أن الرهان على تدمير النظام من داخله لم ينجح وتمكن النظام الإيرانى من احتواء الموقف. وهنا كان الضربة الحالية حتمية وضرورية ومتعجلة، فى آن.

ومن هنا، أيضا يتضح لنا الهدف من هذه الحرب. فلم يعد الهدف مقتصرا على تدمير المنشآت النووية ومخزون اليورانيوم واغتيال العلماء والقادة العسكريين. بل أصبح الهدف هو القضاء على الدولة الإيرانية ذاتها، وهو ما أعلنه بوضوح الرئيس الأمريكي. بما يفتح الباب لفوضى داخلية قد تقضى خريطة ايران المعروفة وتتمزق فى صراع عرقى وقومى وطائفي، يكون مقدمة لتمزيق المنطقة كلها.

اندلعت الحرب المنتظرة على إيران من قبل الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني. بيد أنه من المهم الانتباه الى تسمية الأدب السياسى الصهيونى للحرب السابقة فى يونيو الماضى والتى استمرت لمدة اثنى عشر يوما، بأنها الحرب الأولى. وهو ما يعنى أن هناك حربا ثانية وربما ثالثة اذا استدعى الأمر. فالإصرار على إسقاط الدولة الإيرانية واضح تماما ولم يعد يخفى على أحد. فما الهدف الذى يسعى الكيان وأمريكا لتحقيقه؟؟

والآن حان وقت الإجابة عن سؤال لماذا لن تهزم ايران، على الرغم من كل الخسائر المادية والبشرية التى بلغت ذروتها فى اغتيال المرشد ذاته. والاجابة تتمثل فى ما يلي:

أولا: لقد حشدت أمريكا ما يربو على ثلث قواتها المنتشرة فى العالم من أجل المواجهة مع إيران. وهو ما كشف الوجود العسكرى الأمريكى فى جبهات مهمة، على رأسها جبهة بحر الصين الجنوبي. وهو ما يتيح الفرصة لحرية حركة أكبر للجيش الصينى الذى لا يخفى نيته فى الهجوم على تايوان واستعادة تبعيتها للبر الصيني، وهو الأمر الذى سيؤدى نجاحه الى زيادة مرعبة فى قوة الصين وهذا ما لا تريده أمريكا، بأى ثمن. وبالتالى فان طول أمد الحرب ليس فى صالحها بأى حال.

ثانيا: أن طول أمد الحرب سيجعل موقف ترامب ضعيفا للغاية فى الداخل الأمريكى المقبل على انتخابات التجديد النصفي. والتى ستحدد مستقبل استمراره فى الهيمنة على القرار الأمريكى من خلال تواصل دعم نواب الكونجرس من عدمه.

ثالثا: كما أن طول أمد الحرب ليس فى صالح إسرائيل، كذلك، بأى حال، خاصة مع التدمير اليومى وتوقف الحياة ونفاذ مخزون الدفاعات الجوية، وكذلك، نظرا لهشاشة تكوينها السكانى وحاجتها لتجنيد معظم السكان مما يصيب الحياة الاقتصادية والصناعية فيها بالشلل التام. كما أن ضآلة مساحتها الجغرافية يجعل الإصابات فيها أكثر تركيزا وتأثيرا مما هى فى إيران.

رابعا: لقد قامت ايران بتدمير معظم إن لم يكن كل القواعد الأمريكية فى الخليج، فضلا عن الرادارات المتطورة المتواجدة بها، بما يجعل خطوط إمداد القوات الأمريكية تتم من خارج المنطقة، وبالتالي، أصبحت هذه الخطوط طويلة ومكلفة، للغاية. ويجعل هذه القوات فى حالة التعب والاعياء فى ظل عدم القدرة على إعادة إحلالها. كما أن تدمير الرادارات يجعلها شبه عمياء. بينما تقف القوات الإيرانية على أرضها متاح لها إعادة إحلال وتجديد قواتها، كما أنها قريبة جغرافيا من داعميها (الصين وروسيا وباكستان).

خامسا: يعتمد الرد الايرانى على أنواع رخيصة وفعالة وكثيفة من التسليح، مثل الصواريخ والطائرات المسيرة، وهو الأمر الذى يستنزف مخزون الدفاعات الجوية غالية الثمن ومحدودة الكمية ولا يمكن تعويضها بسهولة، مثل صواريخ (ثاد) وما يشبهها.

سادسا: ليس من مصلحة كل من الصين وروسيا وكوريا القضاء على ايران، وبالتالى فان حجم الدعم لها لن يتوقف، وقد رأينا ذلك فى الجسر الجوى الصينى الروسى الى إيران. وهؤلاء الحلفاء ملاصقون جغرافيا لإيران بما يفيد فى سرعة وسهولة تقديم هذا الدعم.

سابعا: ليس لدى الإيرانيين ما يخسرونه وقد أصبح ظهرهم للحائط، فالبديل الوحيد لديهم اما النصر أو الضياع الكامل لدولتهم ونظامهم ووطنهم ذاته. ولذلك فانهم لن يقدموا على الاستسلام مهما تكبدوا من خسائر. بينما جاء ترامب والإسرائيليون فى عجلة من أمرهم ويريدون إنهاء الموقف لصالحهم فى أسرع وقت ممكن. وطول أمد المعركة ليس فى صالحهم من كل النواحى التى تم شرحها.

ومن هنا نصل الى أن المعركة الحالية إنما هى معركة عض أصابع ومن سيصرخ أولا هو من سيلقى الهزيمة. وقد مر بنا أن الإيرانيين يتألمون حقا ولكنهم لا يملكون ترف الصراخ. ولذلك ستستمر الحرب، اذا لم تحدث مفاجآت، الى أن ينسحب الأمريكان ويطلب الإسرائيليون إيقاف إطلاق النار كما فعلوا فى حرب الاثنى عشر يوما فى العام الماضي. وعندها سينتهى مستقبل ترامب ونتانياهو السياسى وستصبح أمريكا دولة من الدرجة الثانية. وسنكون أمام نظام عالمى جديد، بدون الهيمنة الأمريكية، حقا وصدقا.

قصف إسرائيلي مكثف على العاصمة الإيرانية

د.صلاح السروي